

النور الجليّ في جواز التوسل بالنبي والوليّ

تأليف

راجي رحمة ربه الوليّ

محمد بن نشأت عبد المنعم محمد الخلوّتيّ

عامله الله تعالى بطلنه الحفيّ

طبعة خاصة

أحمدك ربى كما علمتنا أن نحمد، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد النبى المجتبى
وآله سفينة النجا وأصحابه من شبهوا بأنجم فى الاهتدا.
أما بعد ؛

فهذه رسالة صغيرة نافعة شافية إن شاء الله ؛ إذ هى خلاصة بضع رسائل فى التوسل
كتبتها على عجل وجمعتها راجيا بها الثواب وأن ينكشف بها الحق فى هذه المسألة التى كثرت
فيها التصانيف ، وأصل هذه الرسالة كلمة كنت قد ألقيتها على مسامع إخواننا البرهامية ملبيا
لرغبة سيدى الشيخ المربى الفاضل الأستاذ جمال الزاهى على حسن شيخ البرهامية ورغبة
الأستاذ عبدالستار فى المشاركة مع الإخوان فى إلقاء كلمات نافعة لدفع شبهات المبتلىين
ودحضها وبيان عقيدة أهل السنة فى بعض المسائل التى تشغل الأذهان مثل مسألة التوسل التى
نحن بصددنا، وذلك فى يوم السادس من ذى الحجة ١٤٢٩هـ فى ساحة الطريقة البرهامية
بحميثراء بمناسبة الاحتفال بمولد سيدى أبى الحسن الشاذلى ، وقد قسمت رسالتى إلى ستة
فصول جمعت فيها الأدلة والحكم عليها من كلام الأئمة مع الكلام على الرجال إن احتيج إلى
ذلك ، وأزلت فيها معظم الشبهات ، والله الموفق للصواب.

ولعل الرسالة تكون علما ينتفع به وكاشفة لتدليس المناوئين وفهمهم السقيم ونبراسا على
الطريق لمن أراد الحق فقط بعيدا عن مماراة السفهاء والجدل العقيم الذى لا طائل من ورائه.
وهذا أوان الشروع فى المقصود فأقول مبتدئا باسم الله وبحمده :-

❖ الفصل الأول : معنى التوسل والاستغاثة والاستعانة والتوجه

والشفاعة:

التوسل معناه لغة : التقرب ، وأما اصطلاحا : طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرّة من
الله بمنزلة نبى أو ولى أو بالطلب من النبى أو الولى الدعاء للمستشفع بهم أن يقضى الله
حاجته بشرط أن يكون المتوسل مؤمنا مقبلا على الله راغبا.
والاستغاثة : طلب الغوث والنجدة عند نزول الضر والكرب.
والشفاعة فى (المصباح المنير) : هى الطلب بوسيلة أو ذمام ، والذمام: الحق، فقولك:
"أسألك بحق فلان" يسمى شفاعة بناء على تعريف الشفاعة فى (المصباح المنير) .

واعلم أنه لا فرق بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل يُسمى استغاثة كما جاء في حديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعِرْقُ نِصْفَ الْأَذُنِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" الحديث في رواية عبد الله ابن عمر لحديث الشفاعة يوم القيامة، وفي رواية أنس روي بلفظ الاستشفاع وكلتا الروايتين في الصحيح فدل ذلك على أن الاستشفاع والاستغاثة بمعنى واحد فسمى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الطلب من آدم أن يشفع لهم إلى ربهم استغاثة، وقد قال الحافظ تقي الدين السبكي في (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) : التوسل والتوجه والاستغاثة والاستعانة بمعنى واحد.

❖ الفصل الثاني : الأدلة من الكتاب على جواز التوسل :

الدليل الأول : قال الله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » ففي تفسير هذه الآية توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشفع به ، روى ذلك ابن المنذر في تفسيره والآلوسى في (روح المعاني) ، والإمام أبو الليث السمرقندي في تفسيره ، ونحوه أخرجه الديلمي في (مسند الفردوس) ، ونحوه رواه البيهقي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

الدليل الثاني : قال الله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » وفي تفسير هذه الآية توسل يهود بنى قريظة والنضير بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه ، روى ذلك الحاكم في (المستدرک) والبيهقي في (دلائل النبوة) من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس وهو لا يروى الموضوعات كما نص على ذلك في المقدمة ، ورواه أيضا النيسابوري في تفسيره والزمخشري في (الكشاف) ، وروى في تفسير الخازن ونحوه في تفسير البغوى والنسفى والقرطبى وابن أبى حاتم والطبرى والشوكانى وابن كثير في (البداية) وكذا في (روح المعاني) للآلوسى عن ابن عباس وقتادة ، حيث كان اليهود يقولون : (اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان) ، وفي رواية: (اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان) .

الدليل الثالث : قال الله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » يشمل التوسل بالأشخاص ليس من العموم اللغوي فحسب ، بل هو المأثور عن عمر رضى الله عنه حيث قال بعد أن توسل بالعباس رضى الله عنه فى الاستسقاء : (هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل) كما فى (الاستيعاب) لابن عبدالبر. فهنا الوسيلة تشمل الأشخاص.

الدليل الرابع : قال الله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » وهذا عام فى حال حياته وبعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ، ودليل التعميم مجيء الفعل فى سياق الشرط وهذا مفيد للعموم كما قال الأصوليون ، وقصر: "إذ" على الزمن الماضي فقط فيه نظر لأن "إذ" كما تستعمل فى الماضي تستعمل فى المستقبل أيضاً، ولها معان أخرى ذكرها ابن هشام فى (مغنى اللبيب) : (١ / ٨٠ _ ٨٣) . وفى تفسير هذه الآية ذكر بعض أئمة التفسير قصة العتبي رحمه الله وهو تابعي. فالمهم أنّ المفسرين فى هذه الآية ذكروا قصة العتبي ففهم المفسرون أن الآية تدل على جواز وقوعه سواء فى الحياة أو الممات وهذا ابن كثير رحمه الله ذكر ذلك، فعلى المخالف أن يرجع للتفسير لينظر فيه. وإن كان سياق الحديث به ضعيفا لكن المهم فهم علماء التفسير لسياق الآية. وقد رواها بعض الأئمة، منهم : الإمام النووي فى كتابه (الإيضاح) ، وابن قدامة فى كتابه (المغنى)، والشيوخ منصور البهوتي فى كتابه المعروف بـ (كشف القناع) من أشهر كتب المذهب الحنبلي، ولم يذكر واحد منهم أن هذا الفعل إشراف بالله تعالى فىكون إقراراً منهم بالتوسل.

❖ الفصل الثالث : الأدلة من السنة على جواز التوسل

الدليل الأول : حديث توسل آدم عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم رواه الحاكم فى (المستدرک) : (٦١٥/٢) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لما اقترب آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي) الحديث، ورواه الطبرانى وزاد فيه : (وهو آخر الأنبياء من ذريتك). قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم فى هذا الكتاب. اهـ. ورواه الأجرى فى (الشريعة) : (ص ٤٢٧) من هذا الوجه مع زياد رجل بين الفهرى وشيخه

لكنه موقوف. وأخرجه البيهقي عن الحاكم في (دلائل النبوة) : (٤٨٩/٥) وقال : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف . ولكن الذهبي في (تلخيص المستدرک) : (٦١٥/٢) كان حكمه أشد فقال : موضوع، والحق أن الحديث حسن لغيره ؛ فهو ليس بصحيح كما قال الحاكم وليس بموضوع كما حكم عليه الذهبي، وإنما الحديث ضعيف كما صرح به البيهقي في (دلائل النبوة) وهو لا يروى الموضوعات كما نص على ذلك في المقدمة، لكن للحديث شاهد آخر يرتقى به إلى درجة الحسن لغيره وهو ما رواه الحافظ أبو الحسن بن بشران عن ميسرة الفجر ، وآخره : (تابا واستشفعا باسمي إليه) . أخرجه ابن النعمان المراكشي في كتابه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام) وابن الجوزي في (الوفا بفضائل المصطفى). وذكره العلامة المحقق الحافظ السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري المغربي الحسنى الإدريسي - نور الله مرقدته - في (الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين) : (ص ١٣٨ - ١٣٩) وقال : إسناد هذا الحديث قوي، وهو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرحمن بن زيد. اهـ. وكذا قال الحافظ بن حجر . قال الشيخ محمود سعيد في (رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة) : إسناده مسلسل بالثقات ، ما خلا راوٍ واحد صدوق .

ويدل على اشتها حديث توسل آدم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نشره بين السلف، وعملهم به ؛ وذلك مما يدل على ثبوت مخرجه ما وقع في رسالة مالك لهارون الرشيد، وفيها يقول في شأن التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف للدعاء عند قبره الشريف: إنه وسيلة أبيك آدم . ومالك معروف بالتحري والتثبت ، فإذا قال مثل هذا القول ، فما قاله إلا وأصله ودليله ثابت عنده ، كما يعلم ذلك من تتبع أحوال مالك رحمه الله وسبر أخباره في الورع عند الحكم على الأشياء، وقد أثبت هذه الرسالة جماعة ، ونقل منها ما ذكرته القاضي عياض في (الشفاء).

والشواهد يكفي فيها بأقل ما يشهد لمعنى الأصل ؛ وذلك ما رواه الحاكم في (المستدرک) وصححه عن ابن عباس قال : " أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمته أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار " فهذا الحديث الذي صححه الحاكم يشهد في الجملة لحديث عبد الله بن مسلم . وابن عباس لم يكن ينقل عن الإسرائيليات.

الدليل الثاني : حديث فاطمة بنت أسد رواه الطبراني في (معجمه الكبير) وفي (الأوسط) : (١ / ١٥٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في (الحلية) : (٣ / ١٢١) ، وابن الجوزي في (العلل المتناهية) : (١ / ٢٦٨) عن أنس رضي الله عنه ، وفيه : (بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي) ، وقال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) : رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح ، وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف. والظاهر أن ضعفه خفيف كما لا يخفى على من مارس كتب الفن ، فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن بل هو على شرط ابن حبان صحيح ، فقد قال الإمام ابن حجر الهيثمي في (الجوهر المنظم) : هو سند جيد ، وفيه نص على أنه لا فرق بين الأحياء والأموات في باب التوسل.

الدليل الثالث : حديث الرجل الضرير رواه ابن خزيمة في (صحيحه) ، والترمذي (١٠ / ١٣٢ ، ١٣٣) ، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) : (ص ٤١٧) ، وابن ماجة في (السنن) : (١ / ٤٤١) ، والبخاري في (التاريخ الكبير) : (٦ / ٢١٠) ، والطبراني في (المعجم الكبير) (٩ / ١٩) ، وفي (الدعاء) أيضاً : (٢ / ١٢٨٩) والحاكم في (المستدرک) : (١ / ٣١٣) ، (٥١٩) وصححه وسلمه الذهبي والبيهقي في (دلائل النبوة) : (٦ / ١٦٦) ، وفي (الدعوات الكبير) . وتابع حماد بن سلمة شعبة في روايته عن أبي جعفر. وأخرج هذه المتابعة النسائي في (عمل اليوم والليلة) (ص ٤١٧) وأحمد في (المسند) : (٤ / ١٣٨) عن عثمان بن حنيف ، وفيه : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي) ، وللحديث روايات وألفاظ منها ما عند ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح ، فرواية ابن أبي خيثمة للحديث من طريق حماد بن سلمة الحافظ الثقة فيها : (فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) ، وهي زيادة ثقة حافظ ، فهي صحيحة مقبولة كما هو معلوم ومقرر في علوم الحديث ، وهذه الرواية تدل على العموم وطلب العمل بالحديث في الحياة وبعد الممات إلى قيام الساعة ، والحظ أن الذي دعا في الحديث هو الرجل الضرير لا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن الحديث صحيح صححه الترمذي وابن خزيمة والطبراني والحاكم والبيهقي والمنذرى والذهبي والنووي في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب (الأذكار) والتقى السبكي وابن حجر في (أمالي الأذكار) والهيثمي في باب صلاة الحاجة من (مجمع الزوائد) والسيوطي في (الخصائص الكبرى).

أما ما قيل من أن أبا جعفر في سنده ليس هو الختمي بل هو آخر مجهول ، ليس بشيء ، والصواب أنه هو كما جاء مصرحا به في روايات الحاكم والبيهقي والطبراني الذي وثقه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. واعلم أنه ليس من المعقول أن يُصحح الحديث وفي سنده مجهول خاصة عند الذهبي والمنذرى.

ثم تأتي بعد ذلك قصة الرجل الذي كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه في حاجة له وعلمه عثمان بن حنيف الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للضرير ، وهذه القصة صحيحة رواها البيهقي في (دلائل النبوة) والطبراني الذي صححها في (المعجم الصغير) : (١ / ١٨٤) ، ونقل تصحيحه الحافظ المنذرى في (الترغيب) والحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، وأخرجها أبو نعيم في (المعرفة) والبيهقي من طريقين وإسنادهما صحيح أيضا. فالسند صحيح كما بين ذلك الحافظ السيد عبدالله بن محمد الصديق الغماري في رسالته (إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي في الرد على الألباني الوبي)، وهي مطبوعة متداولة.

وليس كما زعم بعضهم أن معنى : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك) أى بدعاء نبيك !! لأنه ذكر بعد ذلك محمدا تأكيدا وتصريحا بالتوسل به وسياق الحديث يبعد هذا الإدعاء. ولو سلمنا على سبيل الافتراض أن التوسل كان بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم نقول : حقيقة التوسل بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم هي أنه توسل بذاته ؛ إذ ليس الفرق بين دعائه ودعاء غيره إلا صدوره من ذاته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم، التي يحبها الله – سبحانه وتعالى – فذاته صلى الله عليه وآله وسلم هي الوسيلة.

ملحظ هام

من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروى الحديث وما يتصل به كاملا ، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة والبخارى يفعل هذا أيضا ، فكثيرا ما يذكر الحديث مختصرا ويوجد عند غيره تاما فقد روى الحاكم حديث الضرير من طريق عون مختصرا ، ثم قال : تابعه شبيب بن سعيد الحبطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد. وروى الطبراني القصة من طريق ابن وهب عن شبيب وشبيب ثقة مأمون من رجال البخارى روى عنه فى الصحيح وكان عنده كتب يونس بن يزيد وليس فى اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد.

ففي هذا الحديث : أن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - وهو راوي الحديث فهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدعاء العموم بدون أن يكون ذلك مقيدا في حياته دون وفاته. وأفضل ما يؤخذ تفسير الحديث عن الصحابي راويه ؛ لأنه أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من غيره ؛ كما قالوا : إن قول الصحابي بأسباب النزول يعد من المرفوع ؛ لأنه أخبر بما شاهد من سبب النزول؛ فلهذا كان القول بكون ذلك خاصا بحياته تحكما لا يدل عليه دليل مطلقا ، وإنما هو دفع بالصدر، وحكم بالهوى والغرض، والعياذ بالله .

لا يمتري في حكمه شخصان	إن التوسل جائز في شرعنا
وتوسموا بصفاقة وقبح جنان	إلا الذين توهبوا بحماقة
من غير أن يأتوا بأى بيان	قد حرموه وبالغوا في ذمه
يقضى لنا عليهم بالرجحان	وحديث عثمان بن حنيف حجة
لقبول ما يبدوا من البرهان	والله يهديهم ويشرح صدرهم

الدليل الرابع : قصة مناظرة أبي جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها : (ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى) ، رواها القاضي عياض في الشفا بإسناده إلى ابن حميد ، فالحق أنها ضعيفة فقط لا كما زعم ابن تيمية بأنها حكاية مكذوبة ، وقد عمل المالكية بمقتضاها فصرحوا باستحباب التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ عن أحد منهم القول بكراهته فضلا عن حرمة وإنما اختلفت المالكية في التوسل بغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وذكرها الحافظ ابن حجر في (الجواهر المنظم) رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه، وممن ساق هذه القصة الإمام العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان)، وذكرها ابن قدامة في (المغنى).

الدليل الخامس : حديث مالك الدار في مجئ بلال بن الحارث المزني الصحابي إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام القحط في عهد عمر، وقوله : يا رسول الله استسق الله لأمتك) أخرجه ابن أبي خيثمة كما في (الإصابة) : (٤٨٤/٣)، والبيهقي في (الدلائل) : (٤٧/٧) والخليلي في (الإرشاد) : (٣١٣/١-٣١٤) ، وابن عبد البر في (الاستيعاب) : (٤٦٤/٢) . وقال الحافظ في (الفتح) : (٤٥٩/٢) : وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى

المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. اهـ . قلت إسناده صحيح ، وقد صححه الحافظ ابن كثير في (البداية) : (١٠١/٧) ، فقد قال ابن كثير في (جامع المسانيد) – مسند عمر – (٢٢٣/١) : إسناده جيد قوي . اهـ . وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) (٩٤/٤) عن رواية البيهقي : هذا إسناده صحيح. وأقر ابن تيمية بثبوته في (اقتضاء الصراط المستقيم) : (ص ٣٧٣) . وفيه نص في توسل الصحابة به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته من غير نكير .

محاولة البعض لتضعيف الحديث بعدما صححه الحافظ ابن حجر لغو لا يلتفت إليه ، ويقال لهذا المدعى : لا كلام لك بعد تصحيح أهل الحفظ على أن التصحيح والتضعيف خاص بالحافظ.

ملحظان هامان

(١) قالوا: هذا الأثر ضعيف لأسباب :

أ – لأنه لم يُذكر فيه اسم طالب الدعاء، بل قيل فيه: (أن رجلاً أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا السبب لا يضر؛ لأن الرجل المبهم ليس في السند ، بل هو في المتن ، وإيهام الأسماء في متون الروايات لا يضر، وهو في الأحاديث كثير، ثم ليس الاعتماد عليه وحده، بل على إقرار عمر رضي الله عنه.

ب – زعموا أن الراوي للقصة مالك الدار مجهول ، وهذا السبب لا يصح ؛ لأنه وثقه الخليلي في (الإرشاد في معرفة علماء الحديث) : (٣١٣/١)، وابن حبان في (الثقات) : (٣٨٤/٥) ذكره باسم مالك بن عياض، وذكر له الحافظ ابن حجر في (الإصابة في معرفة الصحابة) : (٤٨٤/٣) أربعة من الرواة ، ولم يعرف العلماء له أخطاءً في الرواية، فلا جرح في حفظه، واستعمال عمر رضي الله عنه له يدل على ثقته بدينه وتقواه.

ج – قالوا: (إن فيه الأعمش وهو مدلس) وهذا سبب غير كاف؛ لأن ابن حجر عده في المرتبة الثانية من الموصوفين بالتدليس، وهو من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى .

(٢) وقالوا: لو طلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهو لا يسمعه؛ لأن الله تعالى قال: « إنك لا تسمع الموتى » وهذا الاستدلال لا يصح؛ لأن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالآية تشبيه الكافرين، والكافرون يسمعون صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كان

يدعوهم إلى الإسلام، لكن لا يؤمنون به عناداً، فلا يستجيبون له فهم يشبهون الموتى في عدم الإجابة.

والسمع المنفي هنا لا يحتمل إلا معنى واحداً هو السماع الذي يراد به الرد على من يكلمهم كالرد المعهود بين الأحياء، لا إدراك الأصوات، فالموتى كلهم حتى الكفار يدركون الأصوات، لكن لا يجيبون جواباً مسموعاً للأحياء، كما صرح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث مسلم : حين خاطب قتلى المشركين في بدر فسأله بعض أصحابه كيف يكلم أجساداً لا أرواح فيها؟! فقال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا) ، وفي البخاري: (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون) فهذا الحديث يصرح بسماعهم كالأحياء. و(سماع الميت لقرع النعال)، (والسلام على الأموات عند الزيارة) وغيرها كثير، فلو لم يكن الميت يسمع لكان فعلنا وسلامنا عليه سفهاً. وراجع كتاب الروح لابن القيم وكتاب التذكرة للقرطبي فستعلم أكثر.

الدليل السادس : جاء رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا - أي يمطرنا - . الحديث وكان الرجل مسلماً كما في (الفتح) : (٢ / ٥٠٢) والصحابة كانوا يعرفون قول الله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل لذلك الرجل إذا نزل بك قحط أو بلاء فلا تأتيني وتطلب مني الدعاء بل عليك أن تدعو الله وحدك للآية. فاتضح أن هذه الآية لا تنفي الاستغاثة لأن ذكر الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرر في الأصول.

الدليل السابع : الحديث الذي رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، وفيه : (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك) . ورواه أحمد في (المسند) : (٢١/٣) عن يزيد بن هارون ، وابن خزيمة في (التوحيد) : (١٧ ، ١٨) عن ابن فضيل بن غزوان وأبي خالد الأحمر . والطبراني في (الدعاء) : (٩٩٠/٢) وابن السني في (عمل اليوم والليلة) : (ص ٤٠) كلاهما عن عبد الله بن صالح العجلي . والبغوي في حديث علي بن الجعد عن يحيى بن أبي كبير، ويزيد بن هارون، وأحمد بن منيع كما جاء في (مصباح الزجاجية) (٩٩/١) عن يزيد بن هارون . والبيهقي في (الدعوات الكبير) (ص ٤٧) عن يحيى بن أبي كبير . كلهم عن فضيل

بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه به مرفوعاً . ورواه ابن أبي شيبة في (المصنف) : (٢١١/١٠-٢١٢) عن وكيع وأبى نعيم الفضل بن دكين كما في (أمالي الأذكار) : (٢٧٣/١) . كلاهما عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه .

قال المنذري في (الترغيب والترهيب) : "بإسناد فيه مقال"، وضعفه الإمام النووي في (الأذكار). وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن ، فقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدميطي في (المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح) : (ص ٤٧١_٤٧٢) ، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في (الترغيب والترهيب) : (٢٧٣/٣) ، والحافظ العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء) : (٢٩١/١) ، والحافظ بن حجر العسقلاني في (أمالي الأذكار) : (٢٧٢/١) . وقال الحافظ البوصيري في (مصباح الزجاجاة) : (٩٩/١) : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه، من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده . اهـ . فهو مؤلأ خمسة من الحفاظ - رحمهم الله تعالى - صححوا أو حسنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول. وهذا الحديث فيه استحسان التوسل بحق السائلين، ومن فوائد الحديث ما قاله الشيخ المحدث السيد عبد الله الغماري : وهو يفيد التوسل على العموم كما قال ابن علان في (شرح الأذكار).

الدليل الثامن : حدثنا أبو النعمان ، ثنا سعيد بن زيد ، ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال : ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق) رواه الدارمي في (سننه) (٤٣/١ - ٤٤) : باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته. وفي سننه سعيد بن زيد ثقة وثقه ابن معين وابن سعد وابن عدي والبخاري وهو من رجال مسلم فالحديث حسن.

الدليل التاسع : روى البخاري في (صحيحه) أن ابن عمر كان يتوسل بشعر أبي طالب :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

بوجهه أى بذاته فقد كانت العرب تعبر بالأبغاض عن الذات، وقوله تعالى : ((كل شئ هالك إلا وجهه)) أى إلا ذاته. فهذا نص صريح فى توسل ابن عمر رضى الله عنهما.

الدليل العاشر : توسل عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه فى صحيح البخارى، قوله : (إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا).

وهناك نكت مستفادة من حديث التوسل بسيدنا العباس رضى الله عنه، منها :
- وضّح العباس لما استسقى به عمر أن ذلك لمكانه رضى الله عنه من النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه الزبير بن بكار فى (الأنساب).

- قول سيدنا عمر رضى الله عنه فى الاستسقاء : (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) نص فى توسل الصحابة بالصحابة ، وفيه إنشاء التوسل بشخص العباس رضى الله عنه ، وفيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

- قول سيدنا عمر رضى الله عنه فى الاستسقاء : (كنا نتوسل) فمعناه أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتوسلون به صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد لحوقه بالرقيق الأعلى إلى عام الرمادة.

- فعل سيدنا عمر رضى الله عنه ليس فيه إلا التوسل بالحقى وفعل الشئ لا ينفى ما عداه كما هو مقرر فى الأصول.

- سيدنا عمر رضى الله عنه استسقى وتوسل بسيدنا العباس رضى الله عنه لدفع توهم عدم جواز التوسل إلا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار شرف آل البيت النبوى.

- إن ترك سيدنا عمر للتوسل به صلى الله عليه وسلم لا يدل على التحريم أو الكراهية ، وإنما يفيد الترك أن المتروك جائز تركه فقط ، أما التحريم أو الكراهية ، فهذا يحتاج لدليل آخر يفيد الحظر ، وينبغي ألا ينسب لساكت قول ، فتدبر.

- تجد المخالف يقول : (أراد عمر بدعاء عم نبيك). وهذا خطأ لأن الإرادة محلها القلب ، فتعيين الإرادة على خلاف الظاهر باطل ، وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أجل من أن يُلبس على الناس دينهم فيكون ظاهر كلامه مخالفاً لما يردده.

الفصل الرابع : الأدلة العقلية على جواز التوسل :

أما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي والعلامة سعد الدين التفتازاني والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفرع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة : قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً، وأي ضعيف يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور، والدعوة إلى الإشراف بالله، وإليهم تفرع الأمة في معرفة الإيمان والكفر، والتوحيد والإشراك، والدين الخالص.

قال الرازي في (تفسيره) : إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقفة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمراً ليس الإنسان قد يرى أستاذة في المنام ويسأله عن مسألة فيرشده إليها.

وقال الرازي في (المطالب العالية) وهو من أمتع كتبه في أصول الدين : المقدمة الأولى: أنا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان، وتلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه. أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب، وأسرار منازل الآخرة، وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان، لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء وغطاء، ولما زال البدن أشرفت تلك النفوس وتجلت وتلألأت، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال. وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر ؛ فلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة، والأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علماً جديداً، وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة. والمقدمة الثانية: أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد، والحب التام، ولهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن. فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل يبقى، وذلك العشق لا يزول وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب، على هذا المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، وأنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها، إذا عرفت هذه المقدمات فنقول: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة - وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك

التربة أيضاً- فحينئذ يحصل لهذا الزائر الحي، ولنفس ذلك الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى أخرى. فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، والعلوم الكسبية، والأخلاق الفاضلة من الخضوع له، والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت، وكل ما حصل ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي. وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، والبهجة العظمى لروح الزائر، ولروح المذمور، وهذا هو السبب الأصلي في شرع الزيارة، ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق وأغمض مما ذكرنا. وتام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله). اهـ.

﴿ الفصل الخامس : قول المتوسل والمستغيث : ((مدد)) ﴾ :

القائل : (مدد يا سيدي فلان) فهو إما أنه يطلب المدد من الحي أو من الميت مدداً معنوياً مما وهبه الله من الأسرار والطاقات ، والمعارف والمقامات ، ومختلف العطايا الإلهية والهبات والبركات .

فطلب المدد من الحي معناه طلب دعائه ، وإرشاده ، وروحانيته ، وتوجيهه ، وتوجهه بشحنته وتربيته ، وبركة صلاحه وتقواه وسره مع الله ، وما هو من هذه السبيل التي أشرنا إلى بعضها .

وطلب المدد من الميت طلب من روحه الحي بخصائصه في برزخه السامع المدرك الذي له ما يشاء عند ربه كما جاء تفصيل ذلك في الكتاب والسنة، فمعنى المدد هنا هو طلب التوسل به إلى الله ، والاستشفاع به إليه تعالى في قضاء الحوائج ودفع الجوائح ، والتماس بركة مقامه عند الله ، والاستمداد من مدد الله وسره.

وقد يُحمل طلب المدد بمعنى طلب الدعاء من الروح في عالم الطهر والنور ، وقد قرر ابن القيم في كتابه (الروح) أن للأرواح قوة وطاقة وقدرة لا يتصورها البشر ، حتى إن روحاً واحدة عظيمة تؤثر في جيش كامل.

وأما قول المسلم : (يا سيدي فلان مدد) فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل : (هذا الطعام أشبعني).

- وطالب المدد متوجه إلى الله تعالى بثلاثة أسباب مجتمعة :
- ١- لجوؤه وافتقاره ، وعمله الصالح .
 - ٢- اعترافه بالتقصير باستصحاب الوسيلة.
 - ٣- طاعته لأمر الله تعالى في اتخاذ الوسيلة إليه .

أُتَسَخَّرُ مِنْهُ لِقَوْلِ مَدَدٍ	ولست الفقيه ولا المجتهد
أُتَسَخَّرُ مِنْهُ بِلَا حِجَّةٍ	وقد قال ربك « كلا نمد »
عِطَاءِ رِخَاءٍ تَجَلَّى بِهِ	وكل عليه به يعتمد
فَفِيمِ الْمَلَامِ وَفِيمِ الْخِصَامِ	وليس المعقد كالمعتقد
لَنَا عَلِمْنَا وَلَكُمْ عَلِمْنَا	وكل إلى حجة يستند
فَقَدْ نَتَأَوَّلُ إِذْ نَرْتَجِي	وقد نتوسل إذ نستمد
تَجَارِبُنَا حِجَّةَ بَيْنِنَا	وما من أفاد كمن لم يفد
فَإِنْ كُنْتَ تَفْهَمُنَا فَاعْتَقِدْ	وإلا فدعنا ولا تنتقد
/عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ	مدد وقالوا : لم يرد
قَلْنَا : بَلَى هُوَ وَارِدٌ	أو فاحذفوا « كلا نمد »

❖ الفصل السادس : مسائل، وتنبهات، ووقفات، وتقريرات، وشبهات،

وردها :

* مسألة :

أما التوسل في حال الوفاة فالوهابيون يمنعونه متوهمين أن الموت يحول دون تحققه وهو غلط ظاهر لأن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون بدليل الكتاب والسنة والإجماع الذي حكاه الحافظ السخاوي في (القول البديع) وكذلك ابن حزم في (المحلى). أما ما فهمه الوهابيون من حديث توسل سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما فيرد عليهم بالقاعدة الأصولية التي تنص على أن ترك شيء لا يدل على منعه ، بل قال الحافظ في (الفتح) : يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة .

صرح الشيخ مصطفى أبو السيف الحمamy أحد علماء الأزهر الشريف في (غوث العباد) :
وإذن من الأضاحيك أن يقول قائل إن التوسل جائز إذا كان بالأحياء، وليس بجائز إذا كان

بالأموات فإن هذا القول يشتم منه رائحة أن الحي لحياته يعمل. فيمكن أن يقضى الحاجات وأن الميت لموته لا يعمل فلا يقضى الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولا يعرفه صغير منهم ولا كبير .

* مسألة : العلماء الأفاضل كالإمام أحمد والإمام النووي - رضى الله عنهما - يجيزان التوسل :
أجاز الإمام أحمد بن حنبل التوسل كما نقل عنه الإمام المرداوي الحنبلي في (الإنصاف) :
(ج ٢/٤٥٦) كتاب صلاة الاستسقاء : ومنها - أي من الفوائد - يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل : يُستحب، قال الإمام أحمد للمروزي : يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره .

وإذا أمرنا ربنا سبحانه باتباع أئمة الهدى من السلف الصالح فهل يمكن أن يكون قولهم في الدين بدعة ضلالة؟! لاسيما إن كانوا من كبار الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل الذي قضى حياته في مقاومة البدع وأهلها، وتحمل من أجل ذلك ما لا يتحملة إلا من اقتدى بأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام؟! فإذا كان التوسل يجر إلى الشرك فقل لي برب هؤلاء الأئمة الذين توسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أحمد بن حنبل وغيره من السلف ، ومن بعدهم هل علمت أنهم انجروا إلى الشرك؟! حاشهم من ذلك ، وهم من أئمة الدين .

قال الإمام النووي في (المجموع) : (ج ٨/٢٧٤) كتاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم : ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه.

* مسألة : توسل الشافعي بأبي حنيفة، وبآل بيت رسول الله، وصحبته للصوفية :

روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في (التاريخ) بسند جيد أن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله به في قضاء حاجاته.

ونقل العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان قول الشافعي متوسلا بأهل البيت :

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في (تأييد الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية) :

فصل : قال الشافعي رضى الله عنه صحبت الصوفية فلم استنقد منهم سوى حرفين وفي رواية

سوى ثلاث كلمات قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك وقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وقولهم العدم عصمة.

وقال ابن القيم في (مدارج السالكين) : (الجزء الثالث صفحة ١٢٨) : قال الشافعي رضى الله عنه: صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون : الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل. قلت : يا لهما من كلمتين، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلها على علو همة قائلها ويقظته، ويكفى في هذا ثناء الشافعي على طائفة، أي السادة الصوفية، هذا قدر كلماتهم .

* تنبيهات :

• الله هو المستغاث خلقا وإيجادا، والنبىّ أو الوليّ هو المستغاث تسببا وكسبا. فهذا أخذ بالأسباب لا ينافى التوكل على الله، وإلا فكيف يقول عز وجل في عسل النحل : ((فيه شفاء للناس)) ، ومعنى قوله تعالى : ((فيه شفاء للناس)) : أن يلجأ الناس إلى ما يعلم أنه شاف، وهناك فارق بين عمل الطبيب، وقول الله تعالى : ((وإذا مرضت فهو يشفين)) لأن الطبيب معالج، والله شاف.

• الله يجرى فيوضاته عن طريق الأشياء كما يجرى فيوضات الوحي والعلم بواسطة جبريل وفيوضات الرزق بواسطة ميكائيل.

• التوسل ليس أمرا لازما ضروريا، وليست الإجابة متوقفة عليه بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقا.

• هل يتوسل المتوسل بالفاسق !!! بالطبع لا ... إذا فالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين يتوسل بأعمالهم التي يحبها الله. وبهذا يتلاشى هذا الخلاف الشكلى.

• الفرق بين الحى والميت عند التوسل لا يصدر إلا عن ينطوى على اعتقاد فناء الأرواح ، المؤدى إلى إنكار البعث.

• أما قول من قال : إن التوسل ذريعة إلى الشرك والأفضل تركه. فنقول له : ليس كذلك ، لأن النبي لا يعلم الأمة ما يؤدي للشرك ، وفي ذلك تعطيل العمل بالأحاديث الصحيحة بحجة أنها ذريعة للشرك وهو كلام خطير جدا. والأئمة من المحدثين والفقهاء ما يزالون يذكرون في أبواب صلاة الحاجة حديث الأعمى حاثين الأمة أن تقول في ذاك الدعاء : (يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي) فليس في ذلك ما يتعلق في العقيدة ولا في التوحيد البتة.

• أصل القاعدة التي بنوا عليها منع هذا التوسل هو أنه توسل بمخلوق، وهي قاعدة تنقضها الأدلة، فالتوسل بالعمل الصالح مشروع وهو مخلوق، والتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشروع وهو مخلوق أيضاً.

* وقفة :

قال الشيخ الحافظ العلامة السبكي في (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) : لم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف ولا من الخلف بل قال قولاً لم يقله عالم قبله .

* وقفة :

قال الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله : إن المغالين في الإنكار على التوسل عمدوا إلى نصوص واردة في الكفار وطبقوها على المسلم الذي يؤمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، كما فعل الخوارج من قبل فحكموا على كثير من المسلمين بالكفر بناء على نصوص وردت في الكافرين. نقل البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول : شر خلق الله الخوارج، عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين. ومثل ذلك قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما. قال ابن حزم رحمه الله فى كتابه (الفصل فى الملل والنحل) : ويلحق بهم من شايعهم على أفكارهم أو شاركهم فى آرائهم فى أى زمان .

وذلك كاستشهادهم بقول الله تعالى حكاية عن المشركين « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فى أن من يتوسل إلى الله بشخص كان مشركا، مع أن المتوسل لم يعبد من توسل به.

* وقفة :

مشكلة تحريم التوسل والاستغاثة تُحل فى نقطتين :

الأولى : أن المتوسلين بالأنبياء والأولياء يعلمون أن التأثير لله تعالى أى أن الخلق والإيجاد بيده سبحانه وتعالى، فكان من الواجب على المناوئين ألا يسيئوا الظن بالمتوسلين. الثانية : إذا سأل المعترض نفسه لماذا يتوسل هؤلاء القوم بالصالحين ولا يتوسلون بغيرهم ؟ لأجاب على نفسه بأن ذلك لحسن عملهم، ومن المعلوم أننا نتفق مع المانعين فى جواز التوسل بالعمل الصالح وبهذا ينتهى الإشكال.

* تقرير :

نستخلص من أدلة التوسل أنه جاز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل ميلاده وفي حياته وبعد مماته.

* تقرير :

الحق في المسألة جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباسمه وبحقه وبجاهه وبحرمته وبدعائه وبطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم وبالإقسام على الله تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم وكذا بالأولياء والصالحين.

* تقرير :

التوسل بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم مشروع ، ثبتت به الأدلة ، وأجمعت عليه الأمة ، وتوسل به الأنبياء كما تواتر ذلك في كتبهم السالفة، وتجد ذلك صريحا واضحا في إنجيل برنابا ؛ وهو أصح إنجيل موجود في الأرض اليوم.

* شبهة، وردها :

خبر سيدنا أبي بكر رضى الله عنه : (قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق) ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله) من رواه ابن لهيعة والكلام فيه مشهور. ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى : ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) .

* شبهة، وردها :

الحديث المشهور الذى رواه الترمذى وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس المقصود به النهى عن السؤال والاستعانة بما سوى الله كما يفيد ظاهر لفظه ، وإنما المقصود به النهى عن الغفلة عن أن ما كان من الخير على يد الأسباب فهو من الله ، والأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من الله وبالله ، فالمعنى : وإذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين ، ولا بد لك منها فاجعل كل اعتمادك على الله وحده ، ولا تحجبناك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله.

* شبهة منع زيارة قبور الصالحين ومنع التوسل بهم عند قبورهم، وردّها :

قال إبراهيم الحربى - وهو من كبار تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل - : قبر معروف الكرخى الترياق المجرب . انظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي : (٣٤٣/٩) وبذا فقد أقره الذهبي بل زاد شارحا هذا بقوله : يريد إجابة دعوة المضطر عنده - أى عند القبر - لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء فى السحر مرجو، ودبر المكتوبات، وفى المساجد
وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى فى (مناقب معروف الكرخى وأخباره) فى الباب السابع فى تبرك العلماء والصالحين بزيارته، قال ما نصه : كان جماعة من العلماء الأكابر والزهاد يغشونه ويتبركون بزيارته منهم : الإمام أحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، ويحيى بن معين وغيرهم من المشهورين وممن لا يعرف من الصالحين .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم. وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، إنك حميد مجيد. { سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين }

تمت رسالة النور الجلى فى جواز التوسل بالنبي والولى

* على يد محمد نشأت عبدالمنعم غفر الله له ولوالديه*

* وذلك فى ظهر يوم عيد الأضحى ١٤٢٩هـ*

حامدا مصليا

والسلام

* تم *

*

ﷺ

وليس لنا إلى غير الله حاجة ولا مذهب